



مع بدء المساعي الدبلوماسية التي باشرها المبعوث الأممي الأخضر الإبراهيمي لإيجاد رؤية لحل سياسي للأزمة المستعصية في سوريا، أطلق أحد المسؤولين الروس تصريحا ربما لم يلتفت إليه الكثير من المهتمين أو المتابعين للشأن السوري مفاده أن الأزمة السورية ربما تحتاج لمشروع طائف جديد على غرار اتفاق الطائف اللبناني!.

ولعل ما يلفت النظر في هذا التصريح ليس توقيته فقط والذي تزامن مع بدء الرحلات المكوكية للمبعوث الدولي بين عواصم القرار الفاعلة في الشأن السوري، وإنما بما يؤشر له من ملامح حل ربما يسعى المجتمع الدولي للتوفيق عليه وفرضه على السوريين بعد طول استنزاف وتدمير لبنائهم التحتية ولأدوات القوة لديهم وإشغالهم لوقت طويل داخل حدود كارثتهم التي شارك المجتمع الدولي نفسه - بصمته وتعاجزه - في صنعها... ما يذكروننا باتفاق (دايتون) الشهير الذي جاء بعد خمس سنوات من القتل والتدمر والمجازر ليكرس كانتونات إسلامية وصربيّة وكرواتية في دولة البوسنة والهرسك الفيدرالية والتي لا تملك فيها السلطة المركزية الكثير من وسائل وأدوات الحكم وصناعة القرار .

بات من الواضح أن إطالة مرحلة إدارة الأزمة السورية دولياً عبر تعدد المبعوثين وتعدد آليات البحث عن مشاريع الحلول المقترحة - رغم اليقين المسبق أن ذلك الحراك الدبلوماسي لن يفضي إلى أي حل حقيقي يرضي طموح السوريين ويعادل مأسدوه من دماء ثمنا لفاتورة الحرية والكرامة التي كانت وستبقى عنوان ثورتهم - إنما يشي أن ليس ثمة في الأفق حتى الآن أرضية اتفاق جدي للحل السياسي في سوريا، وأن ذلك الحراك الدبلوماسي الذي باشره الإبراهيمي - بتوافق دولي - مجرد آلية لإدارة الأزمة وليس سعيا حقيقيا لحلها باعتبار أن هذا الحل المنشود لم تنضج ظروفه الموضوعية بعد(!) أو لا يراد لها أن تنضج الآن.. وربما يراد منه حقا إنهاك كافة الأطراف بما يدفعها مضطراً لقبول أية حلول قد تطرح عليها مستقبلاً تكون

بمثابة بصيص ضوء في نهاية ذلك النفق المظلم.

ربما لم يدرك هذا المجتمع الدولي، والمؤكد أن بعضه على الأقل لا يريد أن يدرك أن ثمة استحالة في التعايش والمساكنة اليوم بين شعب هدم جدار الخوف إلى غير رجعة وانطلق من أسره بحثاً عن الحرية والخلاص من الاستبداد وبناء دولة حقيقة تحضن كل مواطنها بلا تفرقة أو تمييز وبين نظام هو في حقيقته وجواهره مجرد عصابة أعلنت على هذا الشعب حرب إفناه وإبادة في محاولة يائسة لإعادته إلى زنازين الطاعة والرضاخ... وما بين هذين الحدين لم تعد ثمة مساحة للحلول الوسطى ... المسألة لم تعد مجرد إصلاحات سخيفة جوفاء وعمليات تجميل لوجه السلطة القبيح الهرم، بل مسألة بناء وطن جديد ظل خارج سياقات التطور والارتقاء الطبيعي لنصف قرن.. فهي إذا معركة مصير ومستقبل لجيء لم تعد تنطلي عليه خزعبلات الممانعة والشعارات الجوفاء التي شنفت آذان أجيال قبله في الوقت الذي كانت فيه طبول المقاومة الجوفاء تنهب وطننا كاملاً وتستأثر بخيراته.. وتحنط مستقبله . مهمة الإبراهيمي ستفشل لأن عناوينها لاتلحظ الحد الأدنى لما يريد الشعب السوري ولا تلحظ أن ما يحصل في سوريا ليست حرباً أهلية، وإنما ثورة كرامة .. أكرهها التمادي في القتل والصمت العالمي المطبق على سفك الدم السوري إلى خوض الصراع المسلح لاسقاط عصابة تحتل وطننا وتريد إكراه شعبه على العبودية .

مهمة الإبراهيمي ستفشل لأنها لاتلحظ رحيل الأسد وعصابته وأدوات القهر المافيوية التي تحميه وتفتح الأفق السوري لمحسن إرادة شعبه.

مهمة الإبراهيمي ستفشل لأنها مجرد فسحة وقت جديد يراد فيه ومن خلاله التحايل على إرادة السوريين وخلق البيئة المناسبة لفرض الحلول التي تصاغ وصفاتها في مطابخ دولية وإقليمية لا يستعمل فيها حتى الوعاء السوري!!!!.. هل تذكرنا المسألة السورية اليوم بالمسألة الشرقية أوائل القرن العشرين إبان انهيار وتفكك الامبراطورية العثمانية، عندما قامت القوى الدولية الفاعلة آنذاك بإدارة شؤون قسمة تركية الرجل المريض وتوافعت مواطن النفوذ فيما بينها؟؟؟ السوريون وحدهم من يملك الجواب على هذا السؤال.

السوريون وحدهم من سيقول لا لطائف جديد يكرس محاصصة الطوائف ويعيدنا إلى مادون الدولة الوطنية... لأنهم اختاروا أن ينطلقوا في مشروع بناء دولة المواطنة .

المصادر: